قائد الاخوان الماكر في استغلال الموقف لصالحه ، فذهب لمقابلة ابن بجاد الذي كان يعسكر خارج مكة في منطقة اسمها « المعابدة » حيث يعيش جزء من قبيلة عتيبة . وهناك اقترح على ابن بجاد أن يتقدما لابن سعود بطلب تعيينهما أميرين على مكة والمدينة على الترتيب ، مقابل استمرار دعمهما له في الحرب ضد الحجازيين . وقد وافق ابن بجاد على الفور على الاقتراح . ولم يبدد الرئيسان وقتا في طلب لقاء مع ابن سعود في خيمته بالرغامة* ، حيث طرحا اقتراحهما أمامه ، والذي رفض على الفور ، فحتى لو خسر دعم مطير وعتيبة فذلك أفضل من أن يعطي مثل هذين الرجلين الطموحين النفعيين* ، مراكز قوة في الحجاز ، لأن ذلك معناه زرع ثورة في المستقبل . وبمرارة انسحب القائدان بقواتهما على الفور إلى نجد ولم يساهما بعد ذلك بأي شيء في الصراع . » وعاد فكرر نفس القول : « بداية الثورة عندما رفض ابن سعود تعيين ابن بجاد والدويش حاكمين على مكة والمدينة . وانسحب الرجلان إلى قلب نجد وبدآ العمل على قلب٦٦ ابن سعود » . والانسحاب حقيقة ولكن كل ما نسجه سيادة المؤلف حول المطالب والتآمر لا أساس له . وإن كان الخلاف قد ظهر ، وقادة الاخوان أحسوا بتضخم حجمهم .

وقد روى حافظ وهبة واقعة أخرى من أحداث تلك الثورة التي كانت تتجمع خلال حصار جدة فقال إنه في أول عيد الفطر في مكة سنة ١٣٤٣ ــ ٢٥ ابريل ١٩٢٥ :

« زرت الشريف « خالد بن لؤي »٠أنا والدكتور عبد الله الدملوجي ، وكان لديه فيصل الدويش وجماعة من الاخوان ، اجتمعوا هنالك بعد صلاة العيد للمعايدة على بعضهم ، فخطب الحضور ، فيصل الدويش وهذه عادة من عادات الاخوان ، لا تخلو مجالسهم من نصيحة أو عظة . فقال مخاطباً خالدا وجماعته : « نحمد الله يا خالد ، ويا الاخوان .. على نعمته ، فقد دخلنا بلد الله الحرام ، وطردنا الشريف من هذا البيت . إننا جند الله وخدم دينه ، لا نريد إلا أن تكون كلمة الله هي العليا ، ودينه هو الظاهر ، ولا نريد إلا رفع المظالم ، وإزالة البدع والمنكرات . وإن هذا السيف وهذا الجند سيعمل هذا العمل في كل من يسير في طريق الشريف ، ويعمل عمله . « فأمن الاخوان كلهم على كلامه » !

وعلق مستشار الملك : « فكان هذا في الحقيقة أول إنذار من أحد قادة الاخوان ، ولم تمض سنة على هذه الخطبة حتى سمعنا أن هناك مؤتمرا عقد في الأرطاويه حضره رؤساء الاخوان من مطير وعتيبة والعجمان ، تعاهدوا فيه على نصرة دين الله والجهاد في سبيله وأعلنوا اعتراضاتهم في ٨ نقاط هي :

ــ استخدام السيارات والتلغرافات والتليفون وهي من أعمال السحر .

ــ دخول المحمل المصري الى مكة مسلحاً .

---

* نفس الموقع الذي ذكره الريحاني .

** هكذا يصفهما مترجم أرامكو !!

ـ إرسال سعود إلى مصر وفيصل إلى لندن وهما من بلاد الشرك .
ـ طلب تفسير لمنع التجارة مع الكويت . فان كانوا مسلمين تعاملنا معهم ، وإن كانوا مشركين حاربناهم .
ـ المكوس والضرائب في الحجاز ونجد والتشريعات الوضعية .
ـ لماذا السكوت عن شيعة الأحساء والقطيف والتغاضي عن إدخالهم في دين الجماعة .
ـ لماذا السماح لبادية العراق وشرق الأردن بالرعي في مراعي المسلمين ؟
ـ هدم القبور .

ولكن لنعد إلى أسوار جدة ، فسواء انسحب الدويش وابن بجاد ، أو بقيا فقد اتضح الخلاف بين رئيس الدولة ، وقادة الثورة .. ولم تكن قضية حصار جدة هي وحدها نقطة الخلاف ، بل بدأت تتجمع المياه خلف السد ، من تعدد اللقاءات بين عبد العزيز والانجليز ، التي انتهت بعقد معاهدة مع بريطانيا ، وتخطيط الحدود ، إلى المؤتمر الاسلامي ، حيث رأى الاخوان وفود مصر وايران تأتي لتقرير مصير الحجاز الذي فتحوه .. والدولة تلتقي بهم وتعاملهم كمسلمين ، وهم الذين احتجوا على سفر سعود إلى مصر للعلاج ، بل وسمعوا أن ملك مصر حفيد محمد علي هو الذي سيتولى الدعوة لهذا المؤتمر الذي سيقرر مصير الحجاز !! ورأوا المحمل يدخل « بعوايده المنكرة » ـ كما قال سعود الكبير ـ بالطبل والزمر والسلاح تحت سمع وبصر عبد العزيز ، فلما هجموا يحطمون الصنم الذي يعبده أتباع المقوقس* منعهم عبد العزيز ..!

وقد ساعدت المطالب « الجماهيرية** » والاشتباكات « العقائدية*** » على زيادة نفوذ القيادات الاخوانية ، وإملاء شروطهم على الملك ، فمنعوه من استخدام التلغراف خلال حرب الحجاز وفي أثناء حصار جدة لم يستطع الملك أن يمد التليفون من مكة الى معسكره ، واضطر عام ١٩٢٦أ ـ ١٣٤٥/٤٤ هـ إلى إلغاء تلغراف المدينة ، وكان الاخوان يقطعون أسلاك التليفون لأنه منكر يجب إزالته ، وهذا يعني اتهام الدولة ، وتحديها**** ..

وكما كان قرار محاصرة جدة أول صدع بين الحركة والدولة ، فقد كان جمرك جدة

---

* حاكم مصر في زمن النبي صلوات الله عليه .
** مثل هدم القبور وفرض الاسلام على المخالفين .
*** حادثة المحمل .
**** ويبدو أن أنباء أخرى مثيرة وصلت للاخوان ، عن دخول مسيحيين في مكة ، وهم إن صحت الروايات الفنيون الذين مدوا أسلاك التليفون والتلغراف ، ولكن التقارير الأميركية ، بل حتى التقارير التي كتبها الريحاني إلى الأجهزة الأميركية للدفاع عن نظام ابن سعود ونفي تهمة التعصب عنه ، ركزت على هذا الوجود المسيحي واعتبرته ظاهرة تقدم . مع أن الثابت قطعاً أن الملك عبد العزيز رفض استقبال فيلبي والريحاني نفسه في مكة عندما جاءا أثناء الحصار بحجة الوساطة بين الملك علي وعبد العزيز ..